الانتليجنسيا المغاربية والراهن الحضاري

قراءة في كتاب "العقل السياسي العربي" للجابري

د/ عبد الرحمن أولاد سيدي الشيخ

جامعة الجزائر 2 أبو القاسم سعد الله

ملخص:

نقدم في هذه المحاولة إطلالة على مسار أحد أقطاب الفكر الفلسفي على الصعيدين العربي والانساني، الأستاذ محمد عابد الجابري الذي يمثل الأنتليجنسيا المغاربية. وتوقفنا عند سلسلة ابداعاته المعروفة "نقد العقل العربي"، وركزنا على كتابه "العقل السياسي العربي" الذي يعد واسطة عقد انتاجه الفكري لأنه رصد تجليات الراهن الحضاري في واقعها السياسي، ولقد قمنا بعملية جرد علمي لاهم افكار هذا الكتاب وذلك من خلال قراءة هادئة لفصوله العشر التي تناولت تطور مفهوم الدولة في سياق محدداتها، كذا الدولة في تجلياتها السياسية والميثولوجية، التنويرية، الإيديولوجية، وصولا إلى حوصلة لآفاق العقل السياسي والعربي ودولته ومؤسساتها الحديثة التي تواكب الراهن الحضاري الإنساني.

المنارة للاستشارات

الكلمات الدالة:

الراهن الحضاري، الدولة، العقل السياسي العربي، اشكاليات الفكر السياسي، قضايا الموروث الثقافي العربي الإسلامي، القبيلة، العقيدة، فقه السياسة.

Abstract:

In this attempt we present an overview of the path of one of the philosophers of philosophical thought on the Arab and human levels، Professor Mohamed Abed Al-Jabri، who represents the Maghreb intelligentsia. We focused on his book "The Arab Political Mind"، which is the mode of holding his intellectual production because he has monitored the manifestations of the civilized present in its political reality. We have carried out a scientific inventory of the most important ideas of this book، A calm reading of his ten chapters dealing with the development of the concept of the state in the context of its determinants، as well as the state in its political، mythological، enlightenment and ideological manifestations، reaching the horizons of the political and Arab mind and state and its modern institutions that accompany the human civilization.

Key words:

Current political civilization، the state، the Arab political mind، the problems of political thought، the issues of the Arab-Islamic cultural heritage، the tribe، the doctrine، jurisprudence of politics.

المنارة للاستشارات

تقاس نهضة الأمم بالدور الذي تلعبه الأنتليجنسيا لأنها تشرف على منصة الاقلاع الحضاري وتتابع مراحله، وترسم المنحنى البياني للمشروع النهضوي بمختلف ميادنه، وتشارك من خلال انتاجها العلمي المتخصص في اثراء المنظومة الفكرية عبر اعادة قراءتها وتمحيصها وغربلتها وإزالة الشوائب التي علقت بها عبر السنين المتعاقبة، وتشبيب وتجديد أفكارها دون المساس بأصولها،و بالتالي الإجتهاد في فروعها وتقديم البدائل أو الحلول، فهي صمام الامان الذي يحافظ على حركية المجتمع وتناغمه مع ابجديات العولمة او محاولة مجابهة تحدياتها التي تمس المنظومة القيمية، وكذا مواكبته للراهن الحضاري الذي يتسم بالتدفق المتسارع لعجلة الانتاج في شتى المجالات، الاختراعات، المعلوماتية، الدراسات المتخصصة والدقيقة، والمنابر الاعلامية التي انتشرت كالطحالب أو الطفيليات لتقديم الوصفة أو السلعة الإعلامية حسب الطلب، والتي يمكن لها أحيانا إشعال حرب بين طائفتين أو حتى بين دولتين، أو زرع الروح الانهزامية في صفوف جيش عرمرم، أو تبث معلومات مغلوطة حول اقتصاديات دولة ما تمهيدا لولوج الشركات الاحتكارية ، انها تبدع في التحطيم اكثر من البناء. وفي خضم هذا الزحم المدلهم والشلال الجارف الذي ينسف الدولة الوطنية وقيمها، ويمجد الاستعمار وإنجازاته، ويجعل ويصنف المقاومة والحركات التحررية في خانة الإرهاب الدولي، ويعمل وعن طريق مؤسسات دولية ومنظمات غير حكومية لزرع سياسة الأبارتيد في الشرائع

المنارة للاستشارات

الدولية بين الفلسطيني والصهيوني، بين الأبيض والأسود، بين الإسلام والديانات الاخرى، وخلق فرق بلاك واترز جدد أو فرسان مالطا معاصرين متعددي الجنسيات (قراصنة، عرابدة، زنادقة، قطاع طرق ورؤوس وذلك في مخابر يشرف عليها رجال مخابراتهم لتحطيم دول حاملة لمشروع نهضوي أو لها حضارات ترجع الى آلاف السنين). وفق هذه الاستراتيجية التي تعيد الاستعمار الذي طرد من الباب عبر النافذة بطرق براغماتية وإقصائية عنصرية ،و بمنطق ميكيافيلي بشع ،غايته تدمير الحضارات الانسانية وجعل شعوبها لقطاء، وفي آن واحد يحمل شعار حوار الحضارات، هل الإنسانية مقبلة على التوحش؟ أم هي العودة إلى الصليبية في صور باباوات زمن العولمة؟ أم علماء الطوائف وليس الامة الذي ينفخون في الفتنة ويرخصون (الفتاوى المعلبة) لتدمير دول برمتها.

لقد استطاع جهابذة وأساطين الفكر الذي يروج للفوضى الخلاقة في العالم العربي والمنتشرون في مراكز الدراسات الاستراتيجية في الغرب، من أن ينتهلوا من مخزوننا الثقافي من تراثنا وتراكماته، سلبياته وإيجابياته وعبر المستشرقين الجدد على طريقة أساتذة أوربا في مؤتمر كامبل بانرمان في لندن عام 1907 ويفجروننا بالطائفية وبشرائع القبيلة، والنسب، بالحدود، بزرع ازمات الهوية، بخلق حروب بيننا، وبالتشكيك في قدراتنا وقيمنا وفي شخصيتنا، إنها الانهزامية بكل تفاصيلها؟

المنارة للاستشارات

في ظل هذه السوداوية أين الانتليجنسيا العربية لتصحيح المنظومة وإثرائها لمواكبة الراهن وتحدياته والوقوف أمام ترسانته المضللة وإعادة بناء الذهنية العربية المهزوزة والمنبهرة أمام هذه "الآلة الأخطبوط" التي تم إعدادها لتكسير سلم القيم وإعادة تشكيله لخدمة أهدافها غاياتها.

وفي هذا السياق حاولنا من خلال هذه الورقة الوقوف عند دور النخبة العربية في تصحيح وإثراء المنظومة الفكرية للمجتمع العربي المعاصر في تخصص العلوم الإنسانية والاجتماعية، وذلك من أجل مواكبة الراهن الحضاري، وقد وقع اختيارنا على احد اقطاب الانتليجنسيا في الوطن العربي، المرحوم الأستاذ الدكتور محمد عابد الجابري، الذي استطاع عبر سلسلة - المشروع النهضوي- الموسومة بعنوان نقد العقل العربي، بتحليل العقل العربي عبر دراسة المكونات والبنى الثقافية واللغوية التي بدأت من عصر التدوين، ثم انتقل إلى دراسة العقل السياسي ثم الأخلاقي، وهو مبتكر مصطلح "العقل المستقيل"، وهو ذلك العقل الذي يبتعد عن النقاش في القضايا الحضارية الكبرى، وبذلك فالعقل العربي بحاجة إلى إعادة الابتكار خاصة العقل السياسي العربي الذي يعيش فترة سبات طويلة، ولأننا ندرك بأن المنطقة الرخوة في منظومة الفكر العربي هي العقل السياسي، ولأن السياسة في الوطن العربي والعالم الإسلامي تهيمن على الثقافة وتخضعها لخدمة مشروعها وانجاحه، وذلك بقيامك بجولة عبر أقطار رقعة

المنارة للاستشارات

جغرافية تمتد من المحيط إلى الخليج، تصاب بزكام سياسي لأن الكل يتكلم السياسة سواء كان من المولاة أو المعارضة كل شيئ مسيس فيها (الرياضة- سقوط المطر- قصيدة شعر...) لكن خراجها لا يغني ولا يسمن من جوع.

أمام هذا التصحر السياسي - فكر وممارسة- وأمام صدمة الخريف العربي الهدام، وأمام سيادة الفكر الذي يرفض الحوار ويتبنى التعصب رغم اننا أمة وسطية، حاولنا قراءة بعض افكار كتاب العقل السياسي العربي، محدداته وتجلياته (نقد العقل العربي - 3-) للجابري، لأن هذا المفكر الفيلسوف حاول كسر التابوهات في هذا المجال، خاصة وأن منظومة الأفكار حبلى بالإشكاليات ذات الأبعاد الثنائية، مثل التراث والحداثة، التخلف والتطور، الأنا والآخر.. وأستطاع بمنهج نقدي عرض دعائم الفكر السياسي العربي، وقدم طرائق اثراء هذا المخزون السياسي لمواكبة الراهن الحضاري، وذلك بتلاقح الموروث التراثي العربي بالفكر الحداثي في هذا المجال، للوصول إلى تحديث العقل السياسي العربي وفق منظور ورؤى وديناميةفلسفية متجددة تعبد الطريق لتحقيق النهضة والحداثة بعقل ناهض، لأن التحديات والعراقيل التي يواجهها الوطن العربي تتطلب الفعل والفعل في العصر الحاضر، وهو قبل كل شيء عمل العقل، خاصة وأن معظم الدول العربية تعيش حالة التخلف والتبعية الإقتصادية التي تهدد استقلالها وترهن سيادتها.

المنارة للاستشارات

ونحاول من خلال هذا الكتاب التوقف عند دور الفيلسوف – المفكر- في قراءة الواقع السياسي العربي وذلك من خلال غوصه في أدبيات هذا الفكر والمتمثلة في محدداته أي العوامل المؤثرة في حركيته (العقيدة، القبلية والغنيمة) وما قدمه من أطروحات حداثية، علما أن الرجل حاول إحداث يقظة معرفية، أو وضع أول لبنة في صرح التحديث لمنظومة الفكر العربي مقارنة مع فكر الآخر عبر بحوث أكاديمية، لأنه أدرك بأن العقل العربي يعيش تحت وطئة هاجس الخوف من الأعراف والتقاليد البالية والدين الذي لفقت له أفكار ما آتى الله بها من سلطان، وأصبح مروحة للكسالى، ويتجنب الخوض فيها وأعلن استقالته، فباتت هذه المنطقة التي تحمل كل بواعث القوى والتحضر (بشرية، استراتيجية، طبيعية...)، بوتقة لتجريب الأسلحة الجديدة وحلبة للصراع على أراضيها وعلى خيراتها، فأصبحت خارج السلم الحضاري والتاريخ الإنساني، ولن نخرج من وضعية المشاهد المستهلك لقشور حضارة الآخر أو فأر تجارب (المفعول فيه أو به أو عليه) وينتقل إلى صانع أو فاعل في عملية بناء الصرح الحضاري للإنسانية جمعاء، الا برؤى ودراسات على شاكلة مالك بن نبي وغيرهم الجابري مع إنشاء مخابر ومراكز استراتيجية لمجابهة الراهن الحضاري الجارف، وقد قسمنا دراستنا إلى عدة نقاط

1)- المحطات البارزة في مسيرة المفكر والفيلسوف

- نشأته

المنارة للاستشارات

- مساره المهني والنضالي
- مؤلفاته
- الجوائز المتحصل عليها

2)- الأفكار الرئيسية لثلاثية نقد العقل العربي

- تكوين العقل العربي (1)
- بنية العقل العربي (2)
- العقل الأخلاقي العربي (4)

3)- كتاب العقل السياسي العربي

- أفكاره الأساسية ومضامينه

المحطات البارزة في مسيرة المفكر والفيلسوف :

نشأته :

ولد محمد عابد الجابري عام1936 بمنطقة سيدي لحسن بمدينة فجيج شرق المغرب بوجدة على الحدود مع الجزائر، وتتألف فجيج من سبعة قصور – تجمعات سكانية- من بينها قلعة زناكة التي ولد فيها الجابري بعد أن انفصلت والدته عن والده، فنشأ نشأته الأولى عند أخواله وكان يلقى عناية فائقة من أهله سواء من جهة أبيه أو أمه، وكان جده يحرص على تلقينه بعض السور القصيرة من القرآن وبعض الأدعية، ما لبث أن ألحقه بالكتاب فتعلم القراءة والكتابة وحفظ ما يقرب من ثلث القرآن، وما إن أتم السابعة حتى انتقل لكتاب آخر، وتزوجت أمه من شيخ الكتاب

المنارة للاستشارات

فتلقى الجابري تعليمه على يد زوج والدته لفترة قصيرة، ثم ألحقه عمه بالمدرسة الفرنسية فقضى عامين بالمستوى الأول يدرس بالفرنسية.

وقد أبان الجابري - الطفل- عن قدراته في الحساب، كما كان يجيد القراءة في كتاب التلاوة الفرنسية، وكان الانتساب للمدرسة الفرنسية ينطوي على نوع من العقوق للوطن فكان الآباء يخفون أبناءهم ولا يسمحون بتسجيلهم في هذه المدرسة الا تحت ضغط السلطات الفرنسية (1)، وقد أتيحت للجابري فرصة الالتقاء بالحاج محمد فرج وهو من رجالات النهضة بالمغرب الذين جمعوا بين الاصلاح الديني والكفاح الوطني والتحديث الاجتماعي والثقافي، وكان الحاج محمد فرج إماما بمسجد زناكة الجامع، فكان الجابري وهو لا يتجاوز العاشرة يواظب على حضور دروسه بعد صلاة العصر، والتحق الجابري بالمدرسة الوطنية الحرة بفجيج، والذي أسسها الشيخ محمد فرج والمعروفة بإسم مدرسة "النهضة المحمدية" التي لا تخضع للسلطات الفرنسية ولا تطبق برامجها،و أصبحت بديلا للتعليم الفرنسي بالمغرب، وقد تخرج منها عام 1949 بعد أن حصل على الإبتدائية (2).

مساره المهني والنضالي :

المنارة للاستشارات

ارتقى في مسالك التعليم في بلده، حيث قضى فيه 45 سنة مدرسا ثم ناظر ثانوية (1962) ثم مراقبا وموجها تربويا لأساتذة الفلسفة في التعليم الثانوي (1965 – 1967)، ثم أستاذ لمادة الفلسفة في الجامعة، بحيث حصل عام 1967 على ديبلوم الدراسات العليا في الفلسفة، ثم دكتوراه الدولة في الفلسفة عام 1970 من كلية الآداب التابعة لجامعة محمد الخامس بالرباط، وعمل أستاذ للفلسفة والفكر العربي والإسلامي بالكلية نفسها (1967 – 2002) .

علما أن الجابري انخرط في خلايا المقاومة ضد الاستعمار الفرنسي للمغرب بداية الخمسينيات من القرن الماضي، وبعد استقلال البلاد أعتقل عام 1963 مع عدد من قيادات حزب الاتحاد الوطني للقوات الشعبية، كما اعتقل مرة ثانية عام 1965 مع مجموعة من رجال التعليم إثر اضطرابات عرفها المغرب في تلك السنة، كما كان قياديا بارزا في حزب الاتحاد الاشتراكي للقوات الشعبية لفترة طويلة، قبل أن يقدم استقالته من المسؤوليات الحزبية في أفريل/ ماي1981، ويعتزل العمل السياسي ليتفرغ للإنتاج الفكري، وكان له أيضا نشاط في المجال الإعلامي، حيث اشتغل في جريدة "العلم" (1957- 1958) ثم "التحرير" 1959 ثم جريدة "المحرر" 1965، وساهم في اصدار مجلة "أقلام" وكذا أسبوعية "فلسطين1968 " التي صدرت عام 1968 (3).كما قام

المنارة للاستشارات

في سبتمبر 1997 بإصدار مجلة "فكر ونقد" رفقة ابراهيم بوعلو وعبد السلام بنعبد العالي، وفي 2002 أحيل الجابري على التقاعد.

في 3 ماي 2010 رحل أحد كبار الأكاديميين في الوطن العربي في الفكر والتراث الإسلامي الذي عاش في غياهبه باحثا ومنقبا ومنظرا، فكانت أعماله بمثابة مشروع نهضوي متكامل أساسه الموروث العربي الإسلامي الذي يحتاج إلى دعم ونقد وتجديد.

مؤلفاته (4):

1) - العصبية والدولة : معالم نظرية خلدونية في التاريخ الإسلامي 1971، وهو نص أطروحته لنيل دكتوراه دولة، بكلية الآداب جامعة محمد الخامس الرباط 1970، وكانت بعنوان "علم العمران الخلدوني : معالم نظرية خلدونية في التاريخ الإسلامي".

2) - أضواء على مشكل التعليم بالمغرب 1973.

3)- مدخل إلى فلسفة العلوم (جزآن) 1976 : -

الأول : تطور الفكر الرياضي والعقلانية المعاصرة .

- الثاني : المنهاج التجريبي وتطور الفكر العلمي.

المنارة للاستشارات

4) – من أجل رؤية تقدمية لبعض مشكلاتنا الفكرية والتربوية 1977.

5) – نحن والتراث : قراءات معاصرة في تراثنا الفلسفي 1980 (ترجم إلى الإسبانية) الطبعة العاشرة مع إضافة 2006.

6) – الخطاب العربي المعاصر : دراسة تحليلية نقدية 1980 (ترجم إلى التركية).

7) – تكوين العقل العربي 1984 (ترجم إلى التركية والفرنسية).

8) – بنية العقل العربي 1986 (ترجم إلى التركية والفرنسية).

9) – السياسات التعليمية في المغرب العربي 1988.

10) – إشكاليات الفكر العربي المعاصر 1988.

11) – المغرب المعاصر : الخصوصية والهوية .. الحداثة والتنمية 1988.

12) – العقل السياسي العربي 1990 (ترجم إلى التركية والفرنسية والاندونيسية).

13) – حوار المغرب والمشرق : حوار مع د. حسن حنفي 1990.

14) – التراث والحداثة دراسات ومناقشات 1991.

المنارة للاستشارات

15) – مقدمة لنقد العقل العربي : نصوص مترجمة إلى اللغة الفرنسية تحت عنوان

Introduction a la critique de la raison arabe : traduit de l'arabe et presentè par AHMED MAHFOUD et MARC GEOFPOY.èd la decouverte Paris 1994(ترجم إلى الإيطالية والإنجليزية والبرتغالية والإسبانية واليابانية والأندونيسية).

16) – المسألة الثقافية 1994

17) – المثقفون في الحضارة العربية الإسلامية، محنة ابن حنبل ونكبة ابن رشد 1995.

18) – مسألة الهوية العروبة والإسلام ...و الغرب .1995

19) – الدين والدولة وتطبيق الشريعة 1996 (ترجم إلى الكردية، كردستان والعراق، والإنجليزية).

20) – المشروع النهضوي العربي .1996

21) – الديمقراطية وحقوق الإنسان .1997

22) – قضايا في الفكر المعاصر 1997 (العولمة، صراع الحضارات، العودة إلى الأخلاق، التسامح، الديمقراطية ونظام القيم، الفلسفة والمدينة).

23) – التنمية البشرية والخصوصية السوسيوثقافية العالم العربي نموذجا 1997 (نشر الأمم المتحدة' الإسكوا، ترجم إلى الإنجليزية).

المنارة للاستشارات

24) – وجهة نظر نحو إعادة بناء قضايا الفكر العربي المعاصر 1997.

25) – حفريات في الذاكرة من بعيد (سيرة ذاتية من الصبا إلى سن العشرين) .1997

26) – الإشراف على نشر جديد لأعمال ابن رشد الأصلية مع مداخل ومقدمات تحليلية وشروح1997/ 1998

- فصل المقال في تقرير ما بين الشريعة والحكمة من الإتصال.
- الكشف عن مناهج الأدلة في عقائد الملة.
- تهافت التهافت.
- كتاب الكليات في الطب.
- الضروري في السياسة مختصر سياسة افلاطون.

27) – ابن رشد سيرة وفكر 1998.

28) – العقل الآخلاقي العربي دراسة تحليلية نقدية لنظم القيم في الثقافة العربية .2001

29) – سلسلة مواقف (سلسلة كتب في حجم كتاب الجيب).

30) – في نقد الحاجة إلى الإصلاح .2005

31) – مدخل إلى القرآن .2005

المنارة للاستشارات

32) – فهم القرآن التفسير الواضح حسب ترتيب النزول (القسم الأول مارس 2008، القسم الثاني اكتوبر 2008).

الجوائز المتحصل عليها (5)

- جائزة بغداد للثقافة العربية، اليونسكو، جوان 1988.
- الجائزة المغاربية للثقافة، تونس ماي 1999.
- جائزة الدراسات الفكرية في العالم العربي، مؤسسة (ام بي آي) تحت رعاية اليونسكو نوفمبر 2005.
- جائزة الرواد، مؤسسة الفكر العربي بيروت ديسمبر 2005.
- ميدالية ابن سينا من اليونسكو بمناسبة اليوم العالمي للفلسفة الرباط، الصخيرات 16 نوفمبر 2005.
- جائزة ابن رشد للفكر الحر، أكتوبر 2008 برلين/ألمانيا.

2)- الأفكار الرئيسية لثلاثية نقد العقل العربي

ظهرت تسمية العقل العربي في البداية كعنوان لأخطر كتاب أنجزه البروفيسور ورئيس مخابرات الكيان الصهيوني، يهوشفاط هركابي(6)، والذي أصبح كتابه مصدرا أساسيا لمن أراد أن يتعرف العرب على ساسة وعسكريين واكاديميين على غرار الأنتروبولوجي الأمريكي اليهودي رفائيل باتاي (7) ذو الأفكار الصهيونية، والذي نهل عن هركابي وأخذ من أطروحته المتصهينة

المنارة للاستشارات

حول العرب، وألف كتاب العقل العربي عام 1973، وهو عبارة عن دراسة بسيكو – ثقافية حول العرب يزكم أي أكاديمي موضوعي من نتانة طروحاتها العنصرية المتعصبة، والتي جعلت ادوارد سعيد يرد على تراهاته في كتابه الإستشراق (8)، ثم ظهرت عدة كتب ودراسات تحمل نفس العنوان أو تصب في نفس الموضوع، على غرار كتاب العقل العربي لصاحبه جون لافين وكذا نورفال دواتكين لكتاب وطبع بنفس العنوان الكسندر عبد النور وكتاب حميد دباش والذي أطلق عليه التسمية ، وطبع الجابري رباعيته (نقد العقل العربي)، والذي خالفه جورج طرابيشي (9) الذي اشتغل لمدة 20 عاما في مشروعه والذي صدر منه خمسة مجلدات في "نقد نقدالعقل العربي" أي في نقد مشروع الجابري (نقد العقل العربي)، ويوصف عمل طرابيشي بالموسوعي ومنها نقد العقل العربي ج1، واشكاليات العقل العربي ج2، وحدة العقل العربي ج3،و العقل المستقيل في الإسلام ج4، من اسلام القرآن إلى إسلام الحديث ج5، ولا يزال الباحثون يكتبون في هذا الفكر الثراتي للعرب والمسلمين في مقالات أو رسائل ماجستير ودكتوراه، أو لكتاب أجانب من مختلف الجنسيات خاصة في ظل هذا الراهن العربي المظلم من خليجه ألى محيطه.

نحاول في هذه الفقرات تقديم عرض موجز عن المحاور الفكرية الكبرى لكتاباته الثلاث

المنارة للاستشارات

- تكوين العقل العربي.
- بنية العقل العربي.
- العقل الأخلاقي العربي.

ان بعض الهواجس التي راودت الجابري هي لماذا نهض الآخر وتأخر العرب أو المسلمون حتى بكشف الاحتلالات التي يعينها العقل العربي الذي قال عنه أنه مستقيل، كما أنه طرح تساؤولا أثار استغرابه لماذا لم تتطور أدوات المعرفة من مفاهيم ومناهج ورؤى في الثقافة الإسلامية خلال نهضتها في القرون الوسطى، الشيء الذي يجعلها قادرة على انجاز ثورة فكرية وعلمية، على غرار ما حدث في أروبا ابتداءا من القرن الخامس عشر الميلادي؟

أ)- تكوين العقل العربي

حاول الجابري تحديد الزمن الذي تشكل فيه العقل العربي والثقافة العربية أولا، ثم انصرف إلى ابراز أو القومية، واعتمد على المنهج البنيوي التكويني وهو منهج ماركسي أساسه الجدلية المادية والتاريخية وصراع الطبقات، ويدخل الثقافة كمعطى لا يمكن استئصاله عن محيطه العام، واستطرد في دراسته للعقل العربي الذي حدد انطلاقته زمنيا بعصر التدوين العباسي بإعادة قراءاته للثقافة العربية وإعادة صياغتها أو بنائها وفق منظور نقدي بعيد عن الذاتية(10).

المنارة للاستشارات

و قد أجاب فيه على الإشكاليات الكبرى التي تطبع الموروث الثقافي العربي التي نوجزها في النقاط التالية

- العقل العربي...بأي معنى؟
- تكوين العقل العربي المعرفي والإيديولوجي في الثقافة العربية.

و من الإستنتاجات التي خرج بها نذكر منها (11)

- لم يكن هدفنا في هذا الكتاب التأريخ للفكرالعربي.لقد أردنا فقط تتبع "مراحل" تكوين العقل العبي داخل الثقافة العربية "العالمة"، أعني التي دونت وصنفت وأعيد بناؤها خلال عصر التدوين وامتداداته. ومع ذلك فقد وجدنا أنفسنا أثناء البحث، أمام ضرورة ممارسة نوع من التأريخ للثقافة العربية يقوم على اعادة ترتيب العلاقات بين أجزائهاو قطاعاتها. ومن هنا النتيجة الأولى التي تفرض نفسها علينا هي أن الثقافة العربية في حاجة ماسة وملحة إلى أعادة كتابة تاريخها.

- ان تاريخ الثقافة العربية الراهن ما زال مجرد تكرار واجترار لنفس التاريخ الذي كتبه أجدادنا، وأنه ما زال خاضعا لنفس الاهتمامات والإمكانيات التي وجهتهم وتحكمت في رؤاهم، والتي جعلت التاريخ الذي خلفوه لنا تاريخ "فرق" و"طبقات" و"مقالات"، في كل فن على حدة، وبكيفية عامة تاريخ الاختلاف في الرأي وليس تاريخ بناء الرأي. هذا النوع من التاريخ الثقافي الذي

المنارة للاستشارات

ورثناه عن أسلافنا، والذي يمكن تبريره داخل حقلهم المعرفي والإيديولوجي، هو نفسه التاريخ الذي ما زال يعاد اليوم انتاجه بصورة أو بأخرى، وكثيرا ما تكون عملية الإنتاج هذه أخذ من هنا وأخذ من هناك ورصف المنقول في فصول تتقاسم الفرق والطبقات والمقالات ويطغى فيها الانتقاء الذي يبلغ أحيانا كثيرة درجة التشويه الكامل لمضمون المنقول. مضمونه المعرفي ومضمونه الإيديولوجي، هكذا تنتزع أفكار من سياقها وتعزل عن إطارها بدافع الرغبة الجامحة في إثبات "الجدة" و"الأصالة" و"السبق التاريخي" أو في ابراز "الوجوه المشرقة" و"النزعات المادية".. وغير ذلك من الاهتمامات المعاصرة التي غالبا ما يؤدي الانسياق المتحمس معها إلى عدم التقيد بالنظرة العلمية الموضوعية للأشياء. تاريخنا الثقافي اذن، في حاجة إلى إعادة كتابة، لا، بل إلى قراءة جديدة تنظر إلى الأجزاء من خلال الكل وتعمل على ابراز الوحدة من خلال التعدد وتعتمد في التصنيف البنية الداخلية وليس المظاهر الخارجية وحدها.

السؤال "لماذا تأخر المسلمون وتقدم غيرهم؟"، أو لماذا لم تتطور الأوضاع الاجتماعية الإقتصادية العربية في "القرون الوسطى" إلى نظام رأسمالي رغم ما عرفته تلك الأوضاع من اقتصاد بضاعي واسع ومتطور؟ أو لماذا لم تتمكن النهضة العربية في "القرون الوسطى" من شق طريقها نحو التقدم المطرد؟.. هذا السؤال سيظل ناقصا ومحدود الأفاق ما لم يطرح على الصعيد الايبيستيمولوجي

المنارة للاستشارات

أيضا، ما لم يتجه مباشرة ألى العقل العربي ذاته. ذلك أن "المسلمين" إنما بدأوا يتأخرون حينما بدأ العقل عندهم يقدم استقالته، حينما أخذوا يلتمسون المشروعية الدينية لهذه الاستقالة، في حين بدأ الأوروبيون يتقدمون حينما بدأ العقل عندهم يستيقظ ويسائل نفسه. أم الرأسمالية فهي بنت العقلانية. أما أسباب "اصرار" العقل العربي على تقدم استقالته فبعضها يرجع إلى "الموروث القديم" السابق على الإسلام، وبعضها يرجع إلى الموروث الإسلامي الخالص.

ب)- بنية العقل العربي (12)

لقد قدم في هذا الكتاب المعنى الحقيقي للعقل العربي بحيث حدد اسسه الثلاثة الذي يستقي منها الدارس المعرفة وهي

البيان – العرفان – البرهان

و قد حلل هذه الأسس موضحا طبيعة الفعل المعرفي المؤسس لها، والعناصر الفكرية لكل أساس.

فالبيان هو مجموعة من المبادئ والأدوات التي تهتم بتحليل الخطاب العربي الإسلامي على مستوى اللغة، فمرحلة البيان عند العرب كانت مزدهرة منذ الجاهلية وزادها نزول القرآن، وبلغت اللغة العربية في عصر التدوين، مرحلة النضج مع تقعيد اللغة

المنارة للاستشارات

العربية وظهور الشروحات والألفيات والمعاجم، فالعرب كانوا يفتخرون بلغتهم وفصاحتهم وبلاغتهم.

أما العرفان وهو أسمى من المعرفة، يهتم بالكشف، وهو مزيج من الهواجس والمعتقدات بحيث خرج العقل العربي عن مسار العقيدة الإسلامية الصحيحة ولجأ إلى عقائد منحرفة على غرار الغنصوية المتأثرة بالثقافة اليونانية، وهنا يتوضح عجز العقل العربي وذلك يتبلور في اعتماده على الكشف والإلهام، وقد أدى ذلك إلى ظهور فرق صوفية ترتكز على مبدأ المغالاة في الإسلام (شطحات روحية) وهذا كله يعبر عن بداية الهروب ألى الأمام الشيء الذي أحدث هوة سحيقة وفراغا كبيرا في المجتمع على مستوى استخدام العقل والخوض في غمار ميادين أخرى ومنها السياسة، وهذه الوضعية هي حالة لا شعورية يعطل خلالها العقل عن أداء دوره.

أما البرهان هو الدراسة التي تعتمد على ركائز علمية، كانت نتيجة لتأثر العرب بحركة الترجمة للكتابات اليونانية وخاصة إنتاج أرسطو، وقد أدخل العرب البرهان في البيان فظهر ذلك في مجال النحو وساهم ذلك في تقعيد اللغة، ومن هنا نستنتج إعتمادهم على أدوات أرسطو في الفعل المعرفي. وقد توصل الجابري بعد تفكيكه لبنية العقل العربي إلى الترويج للعقل البرهاني البياني على حساب العقل العرفاني وأوصى بتطبيق

المنارة للاستشارات

الطابع النقدي لِإبن حزم وابن خلدون الذي أقام التاريخ على البرهان وطابع العقلانية لابن رشد والروح الأصولية للشاطبي، وأوصى بالإحتفاظ بالموروث العربي الإسلامي والإبتعاد عن الغنوصية القديمة والتخلص من الموروث الفارسي وتحقيق النهضة.

ج)- العقل الأخلاقي العربي (13)

بعد الكتاب الرابع والأخير في سلسلة نقد العقل العربي، بحيث يسبقه كتاب العقل السياسي العربي، وقد توخى فيه المنهجين التاريخي الوصفي وكذا البنيوي التكويني، كما وقع في مشكل الموروث الثقافي الذي كتب عن الأخلاق عند العرب، وقد حاول معرفة الإطار الاجتماعي والنظام الأخلاقي العربي واستبعد المصطلحات التي درج على استعمالها وهي المعرفة والبيان والبرهان، وعوضها بالقيم والأخلاق، مبينا أن العقل الأخلاقي عقل جماعي، فقد انطلق من أخلاق القبيلة في العصر الجاهلي، ولقبها بالموروث العربي الخالص، مبرزا بأن الإسلام قد ترك القيم الصالحة للمجتمع المسلم، فتعايشت المنظوميتين الأخلاقيتين مع بعضهما، كما تأثرت بالموروث الفارسي واليوناني والصوفي، في مرحلة الانحراف عن القيم الأخلاقية الإسلامية الصحيحة، كما جعل كلمة أدب مرادفة للأخلاق أي كل ما هو محمود من صفات.

و لقد عرج الجابري على الدراسات التي تناولت العقل الأخلاقي العربي فمنها التي تقر بأن العرب لم يكن لهم عقلا

المنارة للاستشارات

أخلاقيا، بل حكما وأمثالا ومواعظ، وأخرى تقول أن منهل العقل الأخلاقي العربي يعود إلى القرآن، وبين هذا وذاك، حاول الجابري من خلال قراءته الوصفية التاريخية أن يتحدث عن القيم والأخلاق في الإسلام، وعن القيم التي أسماها بالموروث الخالص أي قيم الأخلاق "الصالحة" في المجتمع الجاهلي كالنخوة العربية وغيرها من الخصال الأخرى، كما أدرج بعض الكتب في اطار الدراسات التلفيقية أي التي تجمع بين القيم الإسلامية والفلسفة اليونانية والفكر الصوفي على غرار كتاب احياء علوم الدين للإمام الغزالي والذي يعد كتابا هاما في هذا المجال، كما اعتبر أن النظام الثقافي العربي استجلب الموروث الفارسي في مرحلة مبكرة نتيجة "أزمة قيم"، وأن هذا الموروث الفارسي ركز على طاعة السلطان ودمج الدين والطاعة والسلطان في حزمة واحدة، وبدأ إدخال هذا الموروث مع نهاية العهد الأموي من أجل تدعيمه، ورسخت هذه القيم في العهد العباسي، وبرهن عن ذلك بالموضوعات التي تدور حولها آداب ابن المقفع الثلاثة الطاعة، أخلاق السلطان، على أخلاق الكاتب.

و أكد الجابري على رواج قيم الطاعة الكسراوية معتمدا في ذلك كتب ابن قتيبة (عيون الأخيار) وابن عبد ربه (العقد الفريد) وشهاب الدين محمد بن أحمد الأشبيهي (المستطرف من كل فن مستظرف)، وكذا القلقسندي (صبح الأعشى في صناعة الأنشا)،

المنارة للاستشارات

والتي تقر بطاعة السلطان المطلقة وتقديم الطاعة عل المطاع، ودمج الدين والطاعة والسلطان في محور واحد.

و من بين القيم المركزية ذكر "خلق الطاعة" في الموروث الفارسي، و"خلق السعادة" في الموروث اليوناني و"المروءة" في الموروث العربي الجاهلي، و"العمل الصالح" عند المسلمين التي وحدها العز بن عبد السلام وابن تيمية "السياسة الشرعية في اصلاح الراعي والرعية". فليست المصلحة أساس الأخلاق السياسية بل العبودية وطاعة لله هي أساسها.

لقد كان هذا الكتاب من أهم الكتب التي أنجزها الجابري خاصة وأنه أعاد قراءة أحد أهم القضايا في الموروث الثقافي العربي الإسلامي ولازالت العديد من الكتابات والدراسات تتناوله لأنه نقب في مسألة الساعة في المجتمعات العربية والإسلامية (الأخلاق).

3)- كتاب العقل السياسي العربي

أ)- من الناحية التقنية الوصفية

- **العنوان الكامل** العقل السياسي العربي محدداته وتجلياته.

- الكتاب رقم - 3- في سلسلة مشروع الدكتور محمد عابد الجابري الموسومة ب نقد العقل العربي.

- الطبعة الثالثة 1995 (منقحة)، نشر في بيروت من قبل مركز دراسات الوحدة العربية.

المنارة للاستشارات

- عدد صفحاته اجمالا 392.

القسم الأول

محدداته

الفصل الأول من الدعوة إلى الدولة العقيدة

الفصل الثاني من الدعوة إلى الدولة القبيلة

الفصل الثالث من الدعوة إلى الدولة الغنيمة

الفصل الرابع من الردة إلى الفتنة القبيلة

الفصل الخامس من الردة إلى الفتنة الغنيمة

الفصل السادس من الردة إلى الفتنة العقيدة

القسم الثاني

تجلياته

الفصل السابع دولة "الملك السياسي"

الفصل الثامن ميثولوجيا الإمامة

الفصل التاسع حركة تنويرية

الفصل العاشر الإيديولوجيا السلطانية وفقه السياسة

خاتمة/فاتحة من أجل استئناف النظر خلاصات وآفاق

ب)- اطلالة على الأفكار الأساسية

لقد استهل كتابه بفقرة استهلالية لخصت ما يقصد به العقل العربي "لكل فعل محددات وتجليات، المحددات قد تكون دوافع داخلية بيولوجية أو سيكولوجية، شعورية أو لا شعورية، وقد تكون

المنارة للاستشارات

تنبيهات أو تأثيرات خارجية، أما التجليات فهي المظاهر والكيفيات التي يتحقق الفعل فيها أو من خلالها أو بواسطتها والسياسة فعل، له هو الآخر محدداته وتجلياته وهي فعل اجتماعي يعبر عن علاقة قوى بين طرفين يمارس احدهما على الآخر نوعا نوعا من السلطة خاصا، وهي سلطة الحكم، ومحددات الفعل السياسي بوصفه سلطة تمارس في مجتمع وتجلياته النظرية والتطبيقية، الاجتماعية الطابع، تشكل بمجموعها قوام ما ندعوه هنا "العقل السياسي". هو "عقل" لأن محددات الفعل السياسي وتجلياته تخضع جميعا لمنطق داخلي يحكمها وبنظم العلاقات بينها، منطق قوامه "مبادئ" وآليات قابلة للوصف والتحليل، وهو "سياسي" لأن وظيفته ليست إنتاج المعرفة بل ممارسة السلطة، سلطة الحكم، أو بيان كيفية ممارستها(14).

يدخل كتاب العقل السياسي العربي ضمن المشروع الفكري الجديد الموسوم بنقد العقل العربي، وهو الباكورة الثالثة، وهو عبارة عن قراءة جديدة أخرى للتراث العربي، وظف فيها أحدث الآليات والمفاهيم والنظريات في ميدان العلوم الإنسانية لتفكيك طلاسم السياسة لدى العرب والمدججة بأفكار وايديولوجيات ومنطلقات فسيفسائية صماء، وذلك من خلال دراسة محدداتها كفعل سياسي يتمثل في سلطة حكم تمارس في مجتمع، وكذلك تجلياتها بتوضيح زادها النظري والتطبيقي ذات الطابع الاجتماعي

المنارة للاستشارات

أو الجمعي، ليصل إلى ضبط المحطات الكبرى التي ميزت مسار العقل العربي منذ عهد الرسول "صلى الله عليه وسلم" إلى وقتنا.

و قد طرح الجابري الإشكالية التي سوف يعالجها من خلال عنوان كتابه والمتمثلة في معادلته الفكرية (المحددات والتجليات) وذلك للوصول إلى نقد العقل السياسي العربي عبر التركمات التي تتوضح في الفكرة والتجربة عبر مسار تاريخي طويل، فجاءت كما يلي أين تكمن المحددات التي طبعت العقل العربي؟فيما تتبلور تجلياتها؟ وما هي المفاتيح التي بواسطتها يتجلى أو يتطور المنحنى البياني لمسار العقل السياسي العربي نحو الإيجاث (الحلول أو البدائل)؟

قدم الجابري في مستهل كتابه مدخل عام من خمسين صفحة ضمنه الطرائق والمفاهيم التي سوف يتوخاها لدراسة الظاهرة السياسية ببعدبها الاجتماعي والنفسي، وللوصول إلى بلورة فكرته حول العقل السياسي في المخزون الثقافي العربي الإسلامي –قديمه وحديثه- لابد من استخدام المفاهيم العربية التي درس من خلالها المجتمع الرأسمالي بأوروبا، على غرار المخيال الاجتماعي، اللاشعور السياسي(15)، والمجال السياسي، غير أنه توصل إلى أن المجال السياسي بأوروبا له بنيتين، تحتية تشكلها الصناعة، وفوقية عمادها الدولة ومؤسساتها والإيديولوجيات المرتبطة بها، أما المجتمعات التي لم تتطور فيها الأوضاع إلى مرحلة

المنارة للاستشارات

"الرأسمالية" فهي لا تعرف هذا التمايز الواضح بين البنيتين، بل الغالب فيها هو تداخل عناصرهما بصورة تجعل المجتمع برمته كلية واحدة، إنها السمة التي تميز ما يطلق عليه في الأدبيات السياسية والاجتماعية المعاصرة عبارة "مجتمعات ما قبل الرأسمالية" (16).

لقد أدرك الجابري الاختلاف الصارخ بين المجال السياسي للمجتمع الأوروبي الرأسمالي، وبين المجال السياسي الذي يميز الحالة العربية الإسلامية، وهذا ما جعله يتوصل إلى أنه لا يمكن أن يكون علم اجتماعي واحد تنطبق قوانينه ومقولاته على جميع المجتمعات على جميع العصور...لنتحرر اذن من سلطة مقولات الإيديولوجيات والعلوم الاجتماعية الخاصة بالمجتمعات الغربية الرأسمالية المتطورة ولنعتبرها مجرد مقولات نسبية تعبر عن حالة أو حالات، ضمن أحوال أخرى موجودة، أو سبق أن وجدت، إن هذه هي الخطوة الأولى الضرورية التي بدونها لن نتمكن من رؤية واقعنا كما هو في الماضي وواقعنا الحاضر، وهما يختلفان اختلافا نوعيا؟(17)

لقد توصل الجابري إلى أن بنية وتركيبة وتطور المجتمع الرأسمالي الأوروبي ليست لها أية علاقة مع نظيراتها في المجتمعات العربية الإسلامية، وبالتالي لا يمكن استحضار الآليات والطرائق والمفاهيم الغربية لإسقاطها على منظومتنا في هذا المجال، كما

المنارة للاستشارات

حذر الجابري كذلك من الدوغماتية (الماركسية منها والقومية والإغترابية والسلفية) التي سادت الفكر العربي في العقود الأخيرة كانت تفرض على الناس نوعا وحيدا من الرؤية، أو قل الرؤية من زاوية واحدة فقط.فكنا لا نرى إلا مفتاحا واحدا وحيدا، والدوغماتية تقوم في جوهرها على تقديم مفتاح وحيد يفتح جميع الأبواب. والمفتاح الذي من هذا النوع واحد من اثنين اما مفتاح بوليس وإما مفتاح لصوص، وبالفعل كان تعاملنا مع ماضينا أشبه بالتعامل "البوليسي" والتعامل "اللصوصي" كنا "نستنطقه" بالقوة، قوة القوالب الجاهزة، ليعطينا ما نريده أي ما تقرره النظرية سلفا، وإما نقتطف منه على عجل ما يروي "ظمأنا" لفترة ثم نعود لنقتطف ثانية وثالثة لنفس الغرض. أما اليوم فالأمر يختلف على الأقل من حيث عدم إقبال الناس على مباركة هذا النوع من التعامل، بل يمكن القول إن الأخذ بالتعددية على حساب الصعيد العالمي، وكذا على الصعيد العربي، أو على الأقل قبولها وعدم قمعها. قد جعلنا على المستوى النظري قادرين على أن نرى مفاتيح وليس مفتاحا واحدا ونتعامل معها جميعا حتى ولو كانت من النوع الذي كنا نعرض عنه من قبل توهما منا بأننا تجاوزناه وتخطينا مجال فعله (18).

اقترح الجابري المفاتيح أو المحددات التي بواسطتها سوف يقرأ التاريخ السياسي العربي وهي

المنارة للاستشارات

- القبيلة وتعني القرابة وهي الصفة التي يطلقها الأنثربولوجيين الغربيين على المجتمعات البدائية، والمجتمعات السابقة للرأسمالية، وعبر عنها ابن خلدون "العصبية" عند دراسة (طبائع العمران)، ونعبر عنه نحن اليوم "بالعشائرية"، ولا نقصد قرابة الدم وحدها، بل هي القربات ذات الشحنة العصبية ذات الإنتماء إلى مدينة أو جهة أو طائفة أو حزب، حين يكون هذا الإنتماء هو وحده الذي يتعين به "الأنا" و"الآخر" في ميدان الحكم والسياسة(19)، فمفعول القبيلة في معناه الصدامي، وهو ما نطلق عليه (قانون الصراع القبلي) وفحواه "أنا وأخي على ابن عمي وأنا وابن عمي على الغريب" (20).

- الغنيمة نقصد بها الدور الذي يقوم به العامل الإقتصادي في المجتمعات التي يكون فيها الاقتصاد قائما أساسا – وليس بصورة مطلقة- على الخراج والريع، نقصد به جميع ما كانت تأخذه الدولة في الإسلام من المسلمين وغيرهم كجباية. ويعرف اصطلاحا بالغنيمة والفئ والجزية والخراج وما أضيف إلى ذلك من ضرائب ومكوس (عينا أو نقدا)، أي ما يفرضه الغالب على المغلوب (أميرا، قبيلة، دولة) (21)، لأن الركنين الأساسيين والضروريين لبناء الدولة والحفاظ عليها حسب الأدبيات السياسية في العصور القديمة والوسطى، في العالم الإسلامي وخارجه هما الجند والمال وأن عبارة "الملك بالجند والجند بالمال" تتكرر في تلك الأدبيات

المنارة للاستشارات

كإحدى بديهيات الفكر السياسي، وعليه فإن الدعوة المحمدية قد تحولت إلى دولة، أو على الأصح نجحت في إقامة دولتها، يوم غدا في امكانها تجنيد الرجال والحصول على المال (الغنيمة). (22)

- العقيدة نقصد أولا وأخيرا مفعولها على الإعتقاد والتمذهب لأن موضوعنا هو العقل السياسي، والذي يقوم على الاعتقاد وليس على البرهان، وهو يمثل عقل جماعة الذي يتأسس على رموز مخيالية تؤسس الإعتقاد والإيمان، بحيث يمكن أن يتساهل المرء مع مسائل معرفية ولكنه لا يقبل أن يمس في اعتقاده، لأنه لا يهم مضمون العقيدة فيما تقره من حقائق ومعارف، بل المهم في هذا المجال في الحياة الاجتماعية والسياسية هي قدرتها على التحريك، تحريك الأفراد والجماعات وتأطيرهم داخل ما يشبه "القبلة الروحية" ومن هنا نلاحظ الترابط العضوي بين العقيدة بهذا المعنى وبين الفعل الاجتماعي والسياسي (23)، ولا تكشف عن دور واضح ومحدد ل "العقيدة" من مرحلة لأخرى، فعصر الخلفاء الراشدين مثلا، يعد عصر انتقال من الوثنية إلى التوحيد، ومن التنزيل إلى التأويل، ومن دولة الدعوة إلى دولة الفتح...فكل شيء كان مفتوحا لم تكن هناك مذهبية ولا أرثودكسية، إذ كان أكثر تصرفات الصحابة مبنية على مضمون الحديث النبوي، "أنتم أدرى بشؤون دنياكم" مع استلهام المصلحة العامة وروح الدعوة المحمدية وفي هذا وذاك كان الاجتهاد وكان التأويل(24).

المنارة للاستشارات

يمكننا أن نقف عند المراحل التي طبعت العقل السياسي العربي، فنجد مرحلة الدعوة المحمدية، أو الوعي الذاتي والتي كان للرسول "صلى الله عليه وسلم" دورا محوريا بها، بحيث اهتم بتوسيع رقعة الدعوة في مكة والمدينة ومناطق أخرى لنشر الإسلام، وهي مرحلة تعتمد على الوحي كمعالجة القضايا وانفردت بعملية التأطير والإعداد التعليمي للإنسان المسلم، أما المرحلة الثانية هي مرحلة أسس الدولة وأجهزتها فظهرت معالم الدولة ومجتمعها الإسلامي، برز فيها التفكير والاجتهاد وبالتالي دور العقل في التشريع والممارسة، وقد سميت بمرحلة الوعي الموضوعي، وانفردت المرحلة الثالثة ببروز حكم بني أمية بداية من عهد معاوية بن أبي سفيان،(25)و الذي أصبح خلالها الحكم وراثيا مطلقا وجبريا (العقيدة القدرية) مطاعا بواسطة شرعنة وتزكية الفقهاء والعلماء، وقد برزت عدة أفكار مناوئة فلسفية وفقهية وثورية(ثورة الزنوج والقرامطة) على الرغم من تحريم جواز الثورة ضد حكم بني أمية(26).

بعد تأسيس دولة الملك الأموية، عادت القبيلة إلى دور المحرك وذلك في صورة قريش أو بالمعنى الأصح أحد بطونها (بني أمية)(75)، ووظفت الغنيمة من جديد لتوطيد حكم دولة بني أمية، واستغلت العقيدة القهرية الجبرية كإيديولوجية تمتطيها للتستر على جورها تحت شعار الدفاع عن حياض الأمة والدين الإسلامي

المنارة للاستشارات

والابتعاد عن الفتنة (28)، وأصبح الأمر على منوال الخروج من دولة الشورى حيث يتحكم الدين في السياسة والدخول في رحاب دولة الملك التي تعتمد عل القوة والغلبة(29).

ولقد عرج الجابري على مفهوم الامامة عند الشيعة التي كان هدفها تثبيث فكرة أحقية أهل البيت بالخلافة عن بني أمية، وانتشرت تسميات وألقاب عديدة رصعت القاموس السياسي الشيعي والتي أطلقها محمد بن الحنفية كالوصى والعلم السري، المهدية، العصمة المهذبة التي عززت المعارضة الشيعية للحكم القائم وعملت على ديمومة هذه الفكرة، وباتت هذه البيئة الشيعية سانحة لانتشار الأساطير أو الميثولوجيا، وكان هذا الزاد عاملا للمطالبة بالحق ورفض التخلي عنه أو الاعتراف بالهزيمة (30)، وهذه الأفكار التي امتطاها العباسيون من أجل شرعنة حكم آل العباس، لأن الإمامة بعد الرسول تكون لعمه العباس بن عبد المطلب، والعم أحق بالوراثة من إبن العم ومن أبناء البنات أي أبناء فاطمة(31)، وهذا ما جعل آل العباس يكرسون ظاهرة ميثولوجيا الإمامة والتي أفرد لها الجابري الفصل الثامن، وأصبحت منزلة الخليفة أعلى المنازل، أي هو سلطان الله في الأرض (32)، ومن هذا أصبحت الآداب السلطانية أو الإيديولوجية السلطانية ترتب الخليفة في خانة المتأله أو الإله في الأرض مما يجعل الكل في خدمته كالفقهاء وأهل الكلام والوزراء وقواد الجيش ودورهم المشاركة على إرغام الناس على طاعته (33)

المنارة للاستشارات

وهذه الترتيبات السلطانية التي سادت في الدولة العباسية هي فارسية بامتياز كونها تماثل بين الله والخليفة(34).

ويصل الجابري إلى المؤثرات التي تضبط عقارب التفكير السياسي منذ دولة بني أمية إلى يومنا هذا، وهي هيمنة الإيديولوجية الجبرية أو التكفيرية أو ميثولوجيا الامامة، هذا ما أدى إلى اجترارنا للممارسات السياسية عبر مسار الثقافة العربية الإسلامية وعبر المحددات المعروفة القبيلة، الغنيمة، العقيدة، وطالب بمحاربة الاستبداد من خلال الوقوف على الدعائم التي تعمل على إنتاجه أي أطره الإيديولوجية والاجتماعية والدينية والفكرية (لاهوتية وفلسفية)(35) وتحديد طريقة ممارسة الشورى بالانتحاب الديمقراطي وبالتالي إقرارها والعمل على ضوئها، وكذا إعادة تأصيل الأصول في الفقه الإسلامي، ولابد من اقرار أساليب حديثة فالديمقراطية التي هي ارث للإنسانية كلها، وذلك بتجسيد نظام دستوري ديمقراطي حديث التدبير يفسح المجال فعلا لغرس الحداثة السياسية وترسيخها، ولأن العقل السياسي لا يتحكم فيه شكل نظام الحكم وبنوده الدستورية وحسب، بل محكوم أساسا بمحددات اجتماعية واقتصادية وثقافية، وبالنسبة للعقل السياسي العربي فإن تجديد محدداته الثلاثة (القبيلة، الغنيمة، العقيدة) شرط ضروري للارتفاع به إلى المستوى الذي يستجيب لمتطلبات النهضة والتقدم في العصر الحاضر وذلك بإحلال البدائل

المنارة للاستشارات

التاريخية المعاصرة (36)، ومهام تجديد العقل السياسي العربي المطلوب هو (37)

أ- تحويل (القبيلة) في مجتمعنا إلى لا قبيلة إلى تنظيم مدني سياسي اجتماعي أحزاب، نقابات، جمعيات حرة، مؤسسات دستورية...الخ. وبعبارة أخرى بناء مجتمع فيه تمايز بين المجتمع السياسي (الدولة وأجهزتها) والمجتمع المدني (التنظيمات الإجتماعية المستقلة عن أجهزة الدولة)، وبالتالي فتح الباب لقيام مجال سياسي حقيقي تمارس فيه السياسة ويتم فيه صنع القرار ويقوم فاصلا وواصلا في نفس الوقت، بين سلطة الحاكم وامتثال المحكوم، ان مثل هذا التحول إنما يتم عبر تطور عام اقتصادي اجتماعي سياسي ثقافي، لكن هذا لا يلغي دور الإنسان دور العقل والممارسة.

ب- تحويل (الغنيمة)إلى اقتصاد (ضريبة) تحويل الاقتصاد الريعي إلى اقتصاد إنتاجي، لتحقيق تكامل اقتصادي إقليمي جهوي وفي اطار سوق عربية مشتركة، تفسح المجال لقيام وحدة اقتصادية بين الأقطار العربية، وهي وحدها الكفيلة بإرساء الأساس الضروري لتنمية عربية مستقلة.

ج- تحويل (العقيدة) إلى مجرد رأي فبدلا من التفكير المذهبي الطائفي المتعصب الذي يدعي امتلاك الحقيقة يجب فسح المجال لحرية التفكير، لحرية المغايرة والاختلاف وبالتالي التحرر

المنارة للاستشارات

من سلطة الجماعة المغلقة، دينية كانت أو حزبية أو اثنية، إن تحويل العقيدة إلى رأي معناه التحرر من سلطة عقل الطائفة والعقل الدوغماتي، دينيا كان أو علمانيا وبالتالي التعامل بعقل اجتهادي نقدي.

الفكر العربي المعاصر مطالب بنقد المجتمع والاقتصاد ونقد العقل السياسي...و بدون ممارسة هذه الأنواع من النقد بروح علمية سيبقى كل حديث عن النهضة والتقدم والوحدة في الوطن العربي حديث أمان وأحلام (38) وهي آخر فكرة ختم بها الجابري كتابه العقل السياسي العربي (محدداته وتجلياته).

تعد سلسلة نقد العقل العربي بأجزائها الأربعة (تكوين العقل العربي، بنية العقل العربي، العقل السياسي العربي، العقل الأخلاقي العربي) أكبر إنتاج فكري جاءت به النخب العلمية المغاربية، فهي بمثابة مشروع نهضوي حاول من خلاله الجابري الخوض في أصعب القضايا التي تشكل بنية وتكوين العقل العربي، فقام بعملية جردها عبر مصنفات الموروث الثقافي العربي المقدس، والتابو، والمتعارف عليه، وأعاد قرأتها (أصولها وفروعها)، فتعرض لمسائل وموضوعات عديدة منها الوحدة، الهوية، الأخلاق، المرأة، الأصيل والدخيل على التراث العربي، الاستبداد في المخيال الجمعي العربي، الدين، التعليم، الدولة، القبيلة، العقيدة، الغنيمة، الإصلاحات، الفرد والمجتمع والديمقراطية، فكان هذا العمل

المنارة للاستشارات

الموسوعي هاجسه أو شعاره، لماذا لم تتطور أدوات المعرفة، من مفاهيم ورؤى ومناهج في الثقافة العربية الإسلامية خلال نهضتها في القرون الوسطى الشيء الذي يجعلها قادرة على إنجاز نهضة فكرية وعلمية، على غرار ما حدث في اوروبا خلال القرن الخامس عشر، فكانت إشكاليات الأصالة والحداثة، التأخر والنهضة...و غيرها محطات مركزية في هذا المشروع الفكري الجديد الذي قام بعملية تفكيك وإعادة القراءة للموروث الثقافي العربي، وأردفه بعملية البناء وفق رؤيته فكانت كتبه الأربعة وواسطة عقدها العقل السياسي العربي إضافة أكاديمية هامة للمكتبة العربية والإنسانية، ولازالت كتاباته ومعظم دراساته التي تجاوزت الثلاثين، رغم تعرضها للعديد من الدراسات النقدية والتي تعد بالمجلدات (جورج طرابيشي وغيره من الكتاب والنقاد) تدرس، ومواضيع (أطروحات) للماجستير والدكتوراه في العديد من الجامعات، ومحاور أساسية للندوات والمحاضرات التي تهتم بقراءة التراث العربي الإسلامي.

المنارة للاستشارات

الهوامش:

1)- أنظر تفاصيل حياة الجابري حتى سن العشرين في:محمد عابد الجابري، حفريات في الذاكرة من بعيد، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، 1997.

انظر أيضا: عبد العالي كركوب، محمد عابد الجابري، حياته، مؤلفاته، مماته، موقع الحوار المتمدين:

http://www.ahewar.org

2)- كركوب، المرجع السابق.

3)- مكتبة الخالدية، محمد عابد الجابري، مجموعة مهمة من كتبه في

www.khaldia-library.com

وانظر أيضا: كركوب مرجع سابق، وكذا: مؤسسة ابن رشد، السيرة الذاتية للكاتب الكبير محمد عابد الجابري في:

http://www.tanwer.org □

4)- انظر مؤلفاته في :محمد عابد الجابري، العقل الأخلاقي العربي، دراسة تحليلية نقدية لنظم القيم في الثقافة العربية، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، 2001، ط1.

انظر أيضا: موجز من السيرة الذاتية للجابري في :

http://www.aljabriabed.net/IDENTITE.HTM □

وكذا: محمد عابد الجابري في موقع المعرفة:

www.marefa.org □

5)- كركوب، محمد عابد الجابري، حياته ، مؤلفاته، مماته، موقع الحوار المتمدين، مرجع سابق، انظر أيضا: موقع ويكيبيديا

http ://arm.wikipedia.org □

6)- يوشفهاط هركابي: 1921- 1994

cheif of ISRAELI military intelligence

مابين 1955- 1955، كما ترأس الجهاز الأمني الداخلي والخارجي لإسرائيل، وكذا المنسق العام لأجهزة لمخابرات الصهيونية: الشين بيت والموساد وامان، شارك في حرب 1948 وشارك في محادثات الهدنة في رودس، رئيس معهد الدراسات الإستراتيجية التابع

المنارة للاستشارات

لوزارة الدفاع الإسرائيلية، وهو أحد المنظرين في اسرائيل ويعد قائمة بذاتها في الشؤون الاستراتيجية على اختلاف ميادينها، وصاحب نظرية (التعصب الذكي) أو (الكراهية الذكية)، له دراسات عديدة خاصة فيما يتعلق بالعرب والصراع العربي الاسرائيلي، وهو الأب والأستاذ الروحي للكثير من القيادات والشخصيات في اسرائيل على غرار اسحاق رابين، غولد ماير، بارك، بيريز... وكان أستاذ العلاقات الدولية والشرق الأوسط في الجامعة العبرية بتل أبيب، كما يعد هركابي أبرز المستشرقين الاسرائيليين ويوصف بأنه مفكر استراتيجي له حضوره على الاسرائيلي والخارجي، وتستعين به المؤسسات والشخصيات القيادية في اسرائيل في اتخاذ القرارات المصيرية (الخارجية، التعليم، الدفاع)، ولجنة الخارجية والأمن دالكينست كما دعته رئيسة الوزراء غولدا ماير قبل وبعد حرب 1973 لاستشارته وتقييم الأوضاع، كما دفع بإسرائيل إلى المفاوضات عوض الحرب لأن مكاسبها أوفر وقد تمثل ذلك في أرائه التي تبلورت بعد هزيمة 1973 وهي:

- لقد قاتلنا العرب في عدة حروب وهزمناهم عسكريا،لكن اثر كل حرب يتولد مشهد سياسي أكثر تعقيدا وتزداد مشاكلنا مع العرب.

- لابد من ادماج العرب في المشروع الصهيوني وتوظيفهم لخدمتهم وذلك من خلال التعامل السياسي معهم وليس فقط العسكري، لأن العرب حسب رأيي لا يتحلون بالمثابرة والصبر وسرعان ما يدب الملل والضجر والإختلاف فيهم، ويسلمون أمورهم لأعدائهم في سبيل الغلبة في معاركهم وخلافاتهم الداخلية، وتوظيفهم في خدمته دون أن يشعر العرب.

- أوصى بأن تكون عمية السلام وسيلة لإشغال العرب والفلسطينيين واستنفاذ طاقتيهما.

- أن لا أفكر في القضاء على إنتفاضة 1988، بل سيجعل العرب من يقضي عليها، هركابي له أخطر كتاب هو "العقل العربي" يعد مرجعية لكل الأكاديميين والعسكريين والمفكرين حول شؤون العرب، ومنهم رفائيل باتاي الذي نسج صفحات كتاب على منواله، والتعصب وكراهية العرب. للمزيد انظر:

احمد البهنسي، الاستشراق الاسرائيلي...الإشكالية، السمات، الأهداف في:

Vb :tafsir.net □

و أيضا: عبد الله النفيسي، الأجندة الأمريكية في الجزيرة العربية: إنهم يعالجوننا على طريقة هركابي (6) في موقع:

المنارة للاستشارات

Showthread.www.moslm.org

و كذا عبد الله النفيسي، الحسبة الاستراتيجية في العراق في:

www.almoslim.net

و مقاله:ما فائدة العرب من هذا في:

http://vcom-freedom.blogspot.com-arab-mind.htlm

و موقع:

http://en.m.wikipedia.org/wiki/yehoshfat-harkabi.

7)- رفائيل باتاي: 1910- 1996، هو انتربولوجي، اتنولوجي، ومؤرخ امريكي يهودي من أصل مجرى، يشتهر بكتابه "العقل العربي" الذي نشر عام 1973، وهذا المصنف يحمل بين طياته تعصبا شديدا ضد العرب، نقله إلى العربية على الحارس، ويعد كتاب كلاسيكي تم الاعتماد فيه أطروحات هركابي، ويلجأ إليه المختصون العرب لفهم الشرق الأوسط والعرب، لأن باتاي تخصص في حضارات الشرق الأوسط، وكتابه (الأكاديمي؟) فكرته الأساسية هي: "العربي سلبي من ولادته إلى وفاته"،و ينقسم كتابه إلى الفصل الأول (العرب والعالم) الفصل الثاني (المظهر الجماعي للعقل)، الفصل الثالث(أساليب تنشأة الطفل عند العرب)،الفصل الرابع (تأثيرات اللغة)، الفصل الخامس (المكون اليدوي في الشخصية العربية)، والفصل السادس(القيم اليدوية)، الفصل السابع (الأخلاقيات اليدوية والمجتمع العربي الحديث)، الفصل الثامن (مملكة الجنس)، الفصل التاسع (المكون الإسلامي في الشخصية العربية)،الفصل العاشر (الحدية والعاطفة، الخيال والواقع) الفصل الحادي عشر (الفن، الموسيقى، الأدب).انظر:

https://ar.m.wikipedia.org.wiki

انظر أيضا:

http://www.iraqifuture.net/book/arab-mind.htm

8)- ادوارد وديع سعيد: منظر أدبي فلسطيني، حامل للجنسية الأمريكية، كان أستاذ جامعي للغة الإنجليزية والأدب المقارن في جامعة كولومبيا في الولايات المتحدة الأمريكية، ومن الشخصيات المؤسسة لدراسات ما بعد الكولونيالية، ومدافعا عن حقوق الشعب الفلسطيني، وكان مؤثرا في النقد الحضاري والأدب، ونال شهرة واسعة خصوصا في كتابه الاستشراق (1978)، ولقد ربط دراسات الاستشراق بالمجتمعات الامبريالية واعتبرها منتجا لتلك المجتمعات، مما جعل من أعمال الاستشراق أعمال سياسية في لبها خاضعة للسلطة لذلك شك فيها، وقد أسس أطروحته من خلال معرفته الوثيقة بالأدب

المنارة للاستشارات

الإستعماري، مثل روايات جوزيف كونراد، ومن خلال نظريات ما بعد البنيوية مثل أعمال ميشل فوكو وجاك دريد أو غيرهم، وأثبت كتاب الاستشراق ومؤلفاته اللاحقة تأثيرها في النظرية والنقد الأدبي إضافة إلى تأثيرها في العلوم الإنسانية، وقد أثر في دراسة الشرق الأوسط على وجه الخصوص في تحول وصف الشرق الأوسط، ولإدوارد سعيد عدة مؤلفات منها: مذكراته (خارج المكان 1999)، وكتاب (جوزيف كونراد ورواية السيرة الذاتية 1966)، وكذا كتاب (تمثيلات المثقف 1994)، وكتاب (متتاليات موسيقية 1991)، و(القضية الفلسطينية 1978)، وألف كتابين عن نقد اتفاقية أسلو: (غزة واريحا: سلام أمريكي)و (أسلو: سلام بلا أرض 1995)، يوجد لإدوارد سعيد 18 كتابا في مواضيع مختلفة، (مسألة فلسطين 1979) وكتاب (تغطية الإسلام 1980)، واعتبرها تكملة لكتاب الاستشراق، إضافة إلى مئات المقالات والمحاضرات، فالاستشراق في رأيه هو: تحيز مستمر وماكر من دول مركز اوروبا باتجاه الشعوب العربية الإسلامية.

للمزيد أنظر:

عدنية شلبي: إرث نقدي عابر للقارات... فكر ادوارد سعيد يتجاوز حدود الأثنية والقومية ترجمة علي المحلا في :

https://ar.qantra.de/content/essay-by-adania-chilbi-recalling-edward.saidthought.

انظر أيضا:

https://ar.m.wikipedia.org/wiki

9)- جورج طرابيشي (1939- 2016): مفكر وكاتب وناقد ومترجم عربي سوري، خريج جامعة دمشق، مدير لإذاعة دمشق 1963- 1964، ورئيسا لتحرير مجلة دراسات عربية 1972- 1984، ومحررا رئيسا لمجلة الوحدة 1984- 1989، أقام فترة في لبنان ثم غادر إلى فرنسا واستقر فيها حتى مماته، وتفرغ للكتابة والتأليف، فقد ترجم لفرويد وهيغل وسارتر وغارودي وسيمون دي بوفوار وآخرين، بلغت ترجماته ما يزيد عن مئتي كتاب في الفلسفة والإيديولوجيا والتحليل النفسي والرواية، وله مؤلفاته: "معجم الفلاسفة" في 2006، و"من النهضة غلى الردة"، و"الهرطقات 1 و2"، ومشروعه الضخم في 5 أجزاء: "نقد العقل العربي" ردا على الجابري.

للمزيد انظر:

https://ar.m.wikipedia.org/wiki

المنارة للاستشارات

و كذلك:

https://www.aljazeera.net/encyclopedia/icons

10)- توضيح بعض الآليات النهجية التي توخاها الجابري في إعادة قراءة التراث العربي في سلسلة نقد العقل العربي.

11)- أنظر التفاصيل في: محمد عابد الجابري، تكوين العقل العربي، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، 1989، ط الرابعة.

12)- للمزيد من الأفكار أنظر فصول كتاب: محمد عابد الجابري، بنية العقل العربي، دراسة تحليلية نقدية لنظم المعرفة في الثقافة العربية، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، 1996، ط الخامسة.

13)- لمعرفة خلفيات ومرجعيات وتطور العقل الأخلاقي العربي ومساره، طالع: العقل الأخلاقي العربي دراسة تحليلية نقدية لنظم القيم في الثقافة العربية، مركز دراسات الوحدة العربية' بيروت،2001، ط الأولى.

14)- محمد عابد الجابري: العقل السياسي العربي، محدداته وتجلياته، نقد العقل العربي (3)، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت 1995، ط الثالثة، ص7.

15)- المرجع نفسه، ص 10، 18.

16)- نفسه، ص، 32، 33.

17)- الجابري العقل العربي، ص، 34.

18)- المرجع السابق، ص، 48.

19)- المرجع نفسه، ص، 48، 49.

20)- نفسه، ص، 79.

21)- نفسه، ص، 49.

22)- نفسه، ص، 165.

23)- نفسه، ص، 50، 51.

24)- نفسه، ص، 226، 227، 228.

25)- نفسه، ص، 231، 232، 250، 255، 259، 260، 261.

26)- نفسه، ص، 282، 301، 302.

المنارة للاستشارات

27)- نفسه، ص، 235، 238، 250، 251، 252.

28)- نفسه،ص، 254، 255، 256.

29)- نفسه،ص، 259، 260.

30)- نفسه،ص، 275، 287، 288، 290.

31)- نفسه،ص، 296، 297.

32)- نفسه،ص، 335، 338، 339.

33)- نفسه، ص، 342.

34)- نفسه، ص، 339، 340، 341، 350، 351، 354، 355، 356.

35)- نفسه، ص، 364، 365.

36)- نفسه، ص، 372،373.

37)- نفسه، 374.

38)- نفسه، ص، 374.

المنارة للاستشارات